العلاءُ بن الحَضرَميّ

السفير القائد

فاتح البحرين وجزيرة دارين

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 33 – ج4– ص 16 – 57

وجزء منه في مجلة (الكتاب) العدد الممتاز الثالث والرابع –السنة الثانية-1384هـ-1964م

1402هـ - 1982م

العَلاءُ بنُ الحَضرَميّ

السفير القائد

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

(عضو المجمع)

نسبه وأيامه الأولى

هو العلاء بن الحَضْرميّ ، واسم الحضرميّ والد العلاء هو عبدالله بن عبّاد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عُوَيْف بن مالك بن الخَزْرَج بن اياد ابن صُدَيّ بن زيد بن مُقَفّع بن حَضْرَمَوْت الحَضْرميّ (١) ، ويقال في أبيه : عبدالله بن عِمَاد ، ويقال غير ذلك ، وفي نسبه بعض الاختلافات(٢) ، ولكنّهم لا يختلفون أنّ أباه من حَضْرَمَوْت(٣) ، فنسب إليها الحَضْرَميّ .

سكن أبوه مكّة المكرّمة ، وحالف حرب بن أُمَيّة والد أبي سُفْيَان بن حَرْب(٤) ، فهو حليف بني أُمَيّة (٥) .

وكان للعلاء عدّة إخوة ، منهم : مَيْمُوْن بن الحضرميّ صاحب البئر

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١) ، وانظر الاختلاف في نسبه في جمهرة أنساب العرب (٤٦١) .

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) والإصابة (٢٥٩/٤) وأسد الغابة (٧/٤) والاستيعاب (١٠٨٥/٣) .

(٣) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٤) أسد الغابة (٧/٤) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١) .

التي بأعلى مكّة بـ (الأَبْطَح) (٦) ، يقال لها : (بئر ميمون) (٧) مشهورة على طريق أهل العراق إلى الحج ، وكان حفرها في الجاهليّة (٨) .

ومنهم : عمرو بن الحضرميّ ، وهو أوّل قتيل من المشركين في الإسلام ، وماله أوّل مال خُمِّس في الإسلام (٩) ، قتله المسلمون في سرية نَخْلَة بقيادة عبدالله بن جَحْش (١٠) التي كانت في شهر رجب من السنة الثانية الهجريّة (١١) .

ومنهم : عامر بن الحضرميّ الذي قُتل يوم (بَدْرٍ) كافراً (١٢) .

وأختهم : الصَّعبة بنت الحضرميّ التي كانت تحت أبي سُفْيان بن حَرْب ، فطلّقها ، فخلف عليها عُبَيْد الله بن عثمان التَيْمِيّ ، فولدت له طَلْحَة بن عُبَيْدالله (١٣) ، أحد العشرة المبشّرة بالجنّة (١٤) .

ولا نعرف شيئاً عن تاريخ العلاء في الجاهلية ، متى وُلد ، وكيف نشأ وترعرع ، وما هو نشاطه ، فقد بدأ تاريخ العلاء مع الإسلام ، فهو ابن من أبناء هذا الدين ، عُرف به وبفضله ، ولولا الإسلام لما عُرف أبدا ، أسوةً بأبيه وإخوته وغيرهم من أهله ومن غير أهله ، الذين لا نعرف من أخبارهم

---

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح ، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، لأن المسافة بينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٨٥) .

(٧) بئر ميمون : بئر بالأبطح قرب مكة ، حفرها بأعلى مكة في الجاهلية ميمون بن الحضرمي وعندها قبر أبي جعفر المنصور ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨) .

(٨) الإصابة (٤/٢٥٩) وطبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) .

(٩) الاستيعاب ٣ / ١٠٨٦ ، واسد الغابة ٤ / ٧ .

(١٠) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١١) انظر التفاصيل في جوامع السيرة (١٠٤ - ١٠٦) وانظر الإصابة (٤/٢٥٩) .

(١٢) أسد الغابة (٤/٧) (١٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) .

(١٤) انظر سيرته المفصلة في : طبقات ابن سعد (٣/٢١٤) وحلية الأولياء (١/٨٧) والرياض النضرة (٢/٢٣٤) وأسد الغابة (٣/٥٩) والإصابة (٣/٢٩٠) والاستيعاب (٢/٧٦٤) .

غير أسمائهم – مجرّد أسمائهم حسب ، إذا برزوا بين أقرانهم ، وإلاّ لم تُعرف حتى أسماؤهم ! .

لقد كان العلاء من عائلة عربية ، من قبيلة عربية ، سكنت عائلته مكّة المكرّمة ، وحالفت بطناً من بطون قريش : بنى أميّة بن عبد شَمْس بن عبد مَنَاف(١٥) .

وأسلم العلاء قبل فتح مكّة (١٦) ، فشهد مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم غزوة فتح مكّة ، ويوم حُنَيْن وحصار الطّائف ، في السنة الثامنة الهجريّة .

وفي رواية أنّه أسلم قديماً (١٧) ، ولا دليل على ذلك ، إذ لم يرد ذكره في سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغزواته ، ولا في الهجرة إلى المدينة والمؤاخاة والنشاط الاجتماعي للمسلمين قبل الهجرة وبعدها ، والصّواب أنّه أسلم قبل فتح مكة فبدأ نشاطه في السّلام والحرب مع المسلمين يظهر متأخراً عن المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام .

وعلى كلّ حال ، نال العلاء شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

السفير

١– بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم العلاءَ مُنْصَرَفَه من (الجِعْرانَة)(١٨) إلى المُنْذِر بن سَاوَى العَبْدِيّ بالبَحْرَين ، وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاباً إلى المنذر بن ساوى مع العلاء يدعوه فيه إلى الإسلام (١٩)

(١٥) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .   (١٦) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٢) .

(١٧) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .

(١٨) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٩/٣) .

(١٩) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) وسيرة ابن هشام (٢٧١/٤) والبدء والتاريخ (١٠٢/٥) و (٢٢٩/٤) .

وخلّى بين العلاء وبين الصّدقة يجتبيها ، وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعلاء كتاباً فيه فرائض الصَّدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال يصدّقهم على ذلك،وأمره أن يأخذ الصَّدقة من أغنيائهم فيردّها على فقرائهم(٢٠)

وقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم العلاء إلى المنذر بن سَاوَى أخي عبدالقَيْس صاحب البحرين (٢١) سنة ثمان الهجرية ، فصالح المنذر : على أنّ على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم (٢٢) ، وأسلم المنذر وأسلم جميع العرب بالبحرين ، وكانت ولاية البحرين يومئذ للفرس . وأما أهل البلاد من يهود ونصارى ومجوس ،(٢٣) فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية : من كلّ حالم دينار ، ولم يكن بالبحرين قتال ، إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح (٢٣) .

٢– وكان نصّ كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي حمله العلاء إلى المنذر بن سَاوَى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمّد رسول الله .

إلى : المنذر بن سَاوَى .

سلام على مَنْ اتّبع الهُدَى . أما بعد : فإني أدعوك إلى الإسلام ، فاسْلِم تَسْلَم ، يَجعل اللهُ لك ما تحتَ يديك ، واعْلَمْ أنّ ديني سيظهر إلى مُنْتَهى الخُفّ والحافِر. (٢٤)

الله

علامـــة الختم رسول

محمـــد

(٢٠) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) . (٢١) الطبري (٦٤٥/٢) .
(٢٢) ابن الأثير (٢٣٠/٢) . (٢٣) ابن الأثير (٢١٥/٢) .
(٢٤) انظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٧٩ – ٨٠) .

٣ـ وهذا نصّ كتاب آخر من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المنذر ابن ساوى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمّد رسول الله .

إلى : المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله .

أما بعد : فإني أُذكرك الله عزّ وجلّ ، فإنّه مَنْ يَنصح فإنّما يَنْصَح نفسه ، وإنّه مَنْ يُطِعْ رُسلِي ويَتّبع أمرهم فقد أطاعني ، ومَنْ نصَح لهم فقد نصح لي . وإنْ رسلي قد أثنوا عليك خيرا ، وإني قد شفّعْتُك في قومك ، فاترُك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوتُ عن أهل الذنوب ، فاقْبَلْ منهم . وإنك مهما تصلح فلن نَعزلك عن عملك ، ومَنْ أقام على يهوديّته أو مجوسيته فعليه الجزية (٢٥) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

٤ـ وكان نصّ جواب المنذر الى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

« أما بعد يا رسول الله ! فإني قرأت كتابك على أهل (هَجَر)(٢٦)

---

(٢٥) القلقشندي (٣٦٨/٦) وطبقات ابن سعد (٢٦٣/١) وزاد المعاد (٦١/٣ ـ ٦٢) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٨٠ ـ ٨١) حول نص هذا الكتاب النبوي الكريم واكتشاف أصل الكتاب في دمشق .

(٢٦) هجر : قاعدة البحرين ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٤٥/٨ ـ ٤٤٧) .

فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم مَنْ كَرِهَه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث في ذلك أمرك »(٢٧) .

٥ـ وكان نصّ جواب النبيّ صلى الله عليه وسلّم إلى المنذر :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمد رسول الله .

إلى : المنذر بن ساوَى .

سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بعد ! فإنّ كتابك جاءني ، وسمعتُ ما فيه ، فمن صلّى صلاتنا ، واستَقْبَلَ قِبلَتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له مالنا ، وعليه ما علينا. ومَنْ لم يفعل فعليه دينار من قيمة المُعَافِريّ .

والسّلام عليكم ورحمة الله ، يغفر الله لك (٢٨) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

٦ـ وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعلاء الحضرميّ عن الزكاة كتاباً ، فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والاموال يصدّقهم على ذلك،وأمره أن يأخذ من أغنيائهم فيردّها على فقرائهم(٢٩) ولم يُرْوَ نصّ الكتاب (٣٠) .

---

(٢٧) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٨١ – ٨٢) .

(٢٨) انظر الطبري (٢٩/٣) والقلقشندي (٣٧٦/٦) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٨٢ – ٨٣) ، وانظر أيضاً : فتوح البلدان (١١٠) .

(٢٩) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) .

(٣٠) مجموعة الوثائق السياسية (٨٣) .

٧- وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد كتب إلى العلاء بن الحضرميّ أن يقدم عليه بعشــرين رجلاً من عبدالقَيْس ، فقدم عليه منهم بعشــرين رجلاً ، رأسهم عبدالله بن عَوْف الأشَجّ ، واستخلف العلاء على البحرين المنذر بن ساوى (٣١) .

ولم يُرْوَ نصّ الكتاب (٣٢) .

٨- وكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل هَجَر (البحرين) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمد رسول الله .

إلى : أهل هَجَر .

سِلْمٌ أنتم . فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ! فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ، أن لا تضلّوا بعدَ إذ هُدِيتم ، وأن تَغْوُوا بعدَ أن رَشِدْتُم .

أما بعد ! فقد جاءني وفدكم ، فلم آتِ إليهم إلاّ ما سرّهم . ولو أني اجتهدت فيكم جُهْدِي كلّه أخرجتُكم من هَجَر ، فَشَفَّعْتُ غائبكم ، وأفضلتُ على شاهدكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم .

أما بعد ! فإنّه قد أتاني الذي صنعتم ، وإنّه مَنْ يُحْسِنُ منكم لا أحمل عليه ذنب المُسيء ، فإذا جاءكم أُمرائي فأطيعوهم ، وانصروهم على أمر الله وفي سبيله ، وإنّه مَنْ يعمل منكم صالحاً فلم يَضِلّ عند الله ولا عندي(٣٣)

الله
علامة الختم رسول
محمد

(٣١) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) .
(٣٢) مجموعة الوثائق السياسية (٨٤) .
(٣٣) طبقات ابن سعد (٢٧٥/١ - ٢٧٦) وانظر تفاصيل المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٤ - ٨٥) ، وانظر أيضاً : فتوح البلدان (١٠٧ - ١٠٨) .

٩ـ وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى المنذر بن ساوى .

من : محمد رسول الله .

إلى : المنذر بن ساوى .

أما بعد ! فإنّ رُسُلِي قد حمدوك ، وإنك مهما تُصْلِحْ أُصْلِحْ إليك وأُثِبْكَ على عملك ، وتَنْصَحْ لله ولرسوله .

والسلام عليك (٣٤) .

الله

رسول　　　　　　علامة الختم

محمد

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهذه الرسالة مع العلاء بن الحضرمي(٣٥)

١٠ـ وكتب عليه الصلاة والسّلام إلى المنذر بن ساوى في مجوس هجر ما نصّه .

اعرض عليهم الإسلام ، فإن أسلموا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومَنْ أبَى ، فعليه الجزية من غير أكلٍ لذبائحهم ولا نكاح نسائهم (٣٦) .

١١ـ وكتب إلى المنذر بن ساوى أيضاً ما نصّه :

افرِض على كلِّ رجل ليس له أرض ، أربعة دراهم وعباءة (٣٧) .

وكتب إلى المنذر بن ساوى أيضاً ما نصّه :

أما بعد ! فإني قد بعثت إليك قُدامَة وأبا هُرَيْرَة ، فادْفَعْ إليهما ما اجتمع عندك من جِزْيَة أرضك ، والسلام (٣٨) .

(٣٤) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) وانظر مجموعة الوثائق السياسية (٨٥) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) . (٣٦) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) وانظر المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٨٦) .

(٣٧) انظر المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٦ — ٨٧) .

(٣٨) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) ، وانظر المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٧) ، وقدامة هذا الذي ورد ذكره هو قدامة بن مظعون ، انظر سيرته في : أسد الغابة (١٩٨/٤ — ٢٠٠) .

١٢- وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى العلاء بن الحضرمي :

أمّا بعد ! فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوَى مَنْ يَقْبَضُ منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فَعَجِّلْهُ بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعُشورِ ، والسلام (٣٩) .

الله

رسول علامة الختم

محمد

١٣- وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالقَيْس ما نصّه :

من : محمّد رسول الله .

إلى : الأكْبَر بن عبدالقَيْس .

إنّهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهليّة من القُحْم ، وعليهم الوفاء بما عاهدوا ، ولهم أن لا يُحْبَسوا عن طريق المِيرة ولا يُمْنَعُوا صَوْبَ القَطْر ، ولا يُحْرَموا حَريمَ الثمار عند بلوغه .

والعلاء بن الحضرميّ أمينُ رسول الله على برِّها ، وبَحْرها ، وحاضرِها ، وسراياها ، وما خرج منها . وأهل البحرين خُفراؤه من الضَّيم وأعوانُه على الظّالم ، وأنصاره في الملاحم ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ، لا يُبَدِّلون قولاً ، ولا يُريدون فُرْقَةً ، ولهم على جند المسلمين الشّركة في الفَيْءِ ، والعدل في الحُكْم ، والقصد في السيرة ، حُكْمٌ لا تبديلَ له في الفريقين كِلَيْهِما ، والله ورسوله يشهد عليهم (٤٠) .

الله

رسول علامة الختم

محمد

---

(٣٩) طبقات ابن سعد (/٢٧٦) وانظر المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٧ - ٨٨) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٢٨٣/١)، وانظر تفاصيل المراجع في : مجموعة الوثائق السياسية =

١٤- وآخر هذا نص لكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالقيس:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمّد رسول الله ، لعبد القيس وحاشيتها في البحرين وما حولهـا .

إنكم أتيتموني مسلمين ، مؤمنين بالله ورسوله ، وعاهدتهم على دينه ، فقبلتُ ، على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم ، وتقيموا الصّلاة ، وتؤتوا الزّكاة ، وتحجّوا البيت ، وتصوموا رمضان ، وكونوا قائمين لله بالقسط ولو على أنفسكم ، وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم ، فتردّ على فقرائكم ، على فريضة الله ورسوله في أموال المسلمين (٤١) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

١٥- كما كتب كتاباً إلى شبيب بن قُرّة (٤٢) من وفد عبدالقيس وصُحَار ابن العبّاس (٤٣) من وفد عبدالقيس أيضاً والمُشَمْرَخ بن خالد السّعدي(٤٤) من وفد عبدالقيس أيضاً .

ولم تُرْوَ نصوص هذه الكتب (٤٥) .

= (٩٤ - ٩٥) ، والأكبر بن عبد القيس لا يعرفه أهل الأنساب ، ولعل الصواب : الأكبر من عبدالقيس . ولعل الصواب في : حريم الثمار ، هو : جريم الثمار ، والجريم والصريم والجديد كله التمر إذا صرم ، يريد أنهـم ينتفعون بثمارهم حين الجذ ، ولا ينتظرون مجيء المصدق إلى بلادهم ، ويؤدون الزكاة بالأمانة . (نقلا من : مجموعة الوثائق السياسية ص ٩٥ و ٤١٣) .

(٤١) عمر الموصلي - الجزء الثامن - ورقة ٣١ - ٣٢ ألف ، نقلا عن : مجموعة الوثائق السياسية (٩٥) .

(٤٢) الإصابة (١٩٣/٣)

(٤٣) الإصابة (٢٣٥/٣ - ٢٣٦) .

(٤٤) أسد الغابة (٣٦٧/٤ - ٣٦٨)

(٤٥) انظر : مجموعة الوثائق للسياسية (٩٦) .

١٦- لقد بدأت قصّة العلاء مع البحرين سفيراً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وداعياً من دعاته إلى الإسلام ، فنجح في سفارته ودعوته أعظم النجاح ، واستطاع أن يستنقذ البحرين من السيطرة الفارسية بإسلام عامل الفُرس عليها المنذر بن ساوى الذي أسلم وحسن إسلامه حتى توفّاه الله بعد التحاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى وقبل رِدَّة أهل البحرين ، والعلاء عنده أمير لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم على البحرين (٤٦) ، ثمّ أصبح عامل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الصَّدقات في البحرين (٤٧) ، فنجح أعظم النجاح أميراً وجابياً كما نجح سفيراً وداعياً .

١٧- ويبدو من دراسة الرّسائل النبويّة إلى العلاء وغيره من حكّام البحرين وقادتها ، ومن الاجراءات المتخذة من قِبَل الذين تسلّموا تلك الرّسائل تنفيذاً وعملا ، النظامُ السائد الدقيق في الناحية التطبيقية للدولة الإسلامية الوليدة ، بالإضافة إلى الناحية الإنسانية الرفيعة في التنفيذ والتطبيق عدلاً ورحمة ، فما يؤخــذ من أموال أغنياء البلد ، يعود إلى فقراء البلــد ، مما يؤدي الى التواصل والتراحم والتعاون على هدى وبصيرة .

انّه التطبيق العمليّ لتعاليم الإسلام في الحكم والإدارة ، فهو عدل السماء لا عدل الأرض ، وهذا العدل المطلق هو الذي جعل المنذر بن ساوَى وأمثاله ينحازون إلى الإسلام ديناً ويتخلّون عن أديانهم القديمة ، وإلى نبيّ الإسلام قائداً ويتخلّون عن حكّامهم القدامى ، بالرغم من صعوبة التخلي عن الدين القديم إلى دين جديد بالنسبة للنفس البشرية ، وعن أكبر دولة عالمية في حينه هي دولة الساسانيين ، إلى حكم جديد غير معروف ولا مضمون في حينه هو دولة الإسلام .

---

(٤٦) سيرة ابن هشام (٢٤٣/٤) والدرر (٢٧٢) وجوامع السيرة (٢٤) وابن الأثير (٢٩٨/٢) .

(٤٧) سيرة ابن هشام (٢٧١/٤) والطبري (١٤٧/٣) وابن الأثير (٣٠١/٢) .

ولكنّه الحق إذا جاء ، فإنّه يزهق الباطل ، ثم هو هدى الله ، يهدي به مَنْ يشاء من عباده .

ومهما يقال عن ضعف الإمبراطورية الساسانية وانحلال السلطة المركزيّة للأكاسرة حينذاك ، إلاّ أنّ ذلك لا يسوّغ استبدال دولة ناشئة غير مضمونة بدولة عريقة مضمونة ، وانتقال ولاء من دولة ذات كيان إلى سلطة مجهولة ليست ذات كيان .

ولكنّه الإيمان الذي يكتسح العقبات والصعاب ، ويقلب الحسابات المادية إلى حسابات غير ماديّة .

وما حدث يناقض كلّ المقاييس الماديّة ، ويناقض حسابات الحكّام بخاصة ، ولكنّه حدثَ عملياً كما هو معروف .

لقد كان العلاء موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سفيراً وداعياً ، وأميراً وجابياً ، وكانت ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالعلاء في موضعها كما أثبتت أعماله والأحداث ومجرى الأحداث .

في ميدان الجهاد

١ـ جهاده في حرب المرتدين :

عقد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أحد عشر لواءً لحرب المرتدين ، أحدهم للعلاء وأمره بالبحرين (٤٨) لحرب المرتدين في تلك المناطق وما حولها.

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد مرض ، كما مرض المنذر بن ساوى أيضاً ، وكان مرضهما في شهر واحد ، فمات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومات بعده المنذر بن ساوى ، فارتدّ أهل البحرين (٤٩) ، كما ارتدّ غيرهم

(٤٨) الطبري (٢٤٩/٣) وابن الأثير (٣٤٦/٢) .
(٤٩) الطبري (٣٠١/٣) .

في سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فعاد العلاء إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد سبقته رِدَّة أهل البحرين .

وكان بالبحرين خلق كثير من العرب : من عبدالقَيْس ، وبَكْر بن وائل ، وتَمِيْم ، مقيمين في باديتها ، وكان على العرب بها من قِبَل الفُرس على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المنذر بن ساوَى ، أحد بني عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارِم بن مالِك بن حَنْظَلَة ، وعبدالله بن زيد هذا هو : الأَسْبَذِيّ ، نسبة إلى قرية بِهَجَر يقال لها : الأَسْبَذ ، ويقال : إنّه نُسب إلى الأَسْبَذيين ، وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين(٥٠) ، وهو ما نرجحه ونميل إليه ، إذ لا تعرف قرية باسم : الاسبذ بهجر .

وسار العلاء على رأس جيشه إلى البحرين على طريق (الدَّهْناء)(٥١) وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى ، فلاقى العلاء ورجاله صعوبات ومشقّة عند قطعها ، حتى أصبحت حياته وحياتهم في خطر عظيم (٥٢) .

وكان الجارود بن المُعلّى العَبْدِيّ (٥٣) قد قدم على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما تفقّه في الدين ردّه إلى قومه عبدالقيس ، فكان فيهم . ولما مات المنذر بن ساوى ارتدّ بعده أهل البحرين ، فأما بَنو بكر فتمّت على ردّتها ، وأما عبدالقيس فإنّهم جمعهم الجارود ، وكان بلغه أنّهم قالوا : « لو كان محمّد نبيّاً لم يمتْ » ، فلما اجتمعوا إليه قال لهم : « أتعلمون أنّه كان لله أنبيـاء فيما مضى ؟ » ، قالوا: « نعم » ، قال : « فما فعلوا ؟ » ، قالوا : « ماتوا ! » ، قال : « فإنّ محمداً صلّى الله عليه وسلّم قد مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً

---

(٥٠) فتوح البلدان (١٠٦ – ١٠٧) .

(٥١) الدهناء: صحراء اسعة بنجد في ديار بني تميم ، انظر تقويم البلدان (٨٤) .

(٥٢) ابن الأثير (٢–٣٦٩) .

(٥٣) انظر سيرته في أسد الغابة (١–٢٦٠) . والاصابة (١/٢٢٧) .

رسول الله » . فأسلموا ولاثبتوا على إسلامهم ، فحصرهم المرتدون حتى استنقذهم العلاء . واجتمعت ربيعة بالبحرين على الرِدّة إلاّ الجارود ومَن تبعه ، وقالوا : « نردّ المُلْك في المنذر بن النعمان بن المنذر» (٥٤) ، وجعلوا عليهم ابنا للنُّعمان بن المنذر يقال له : المنذر (٥٥) .

وخرج الحُطَم بن ضُبَيْعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل ، فاجتمع إليه من غير المرتدين مِمّن لم يزل مشركاً، حتى نزل (القَطِيْف) (٥٦) وهَجَر ، واستغووا (الخَطّ) (٥٧) ومن بها من الزُّط والسبابجة ، وبعث بعثاً إلى (دارِين) (٥٨) وبعث إلى (جُوَاثا) (٥٩) ، فحصر المسلمين الذين كانوا فيها ، فاشتدّ الحصر على مَنْ بها ، فقال عبدالله بن حَذَف ، وقد قتلهم الجوع :

ألاَ أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رسولاً وفتيانَ المدينـةِ أجمعينَـا

فهل لكُم إلى قوم ٍ كـرام ٍ قُعُودٍ في جُوَاثَا مُحْصَرِيْنَا

كأنّ دِماءهم في كلّ فـجّ شُعَاعُ الشَمس يُغْشى النّاظِرينا

توكّلنـا على الرحمـن إنّا وَجَدْنا النَّصْـر للمتوكّلينـا

وكان العلاء على رأس جيشه في طريقه من المدينة المنورة إلى هدفه ، يجتاز (الدَّهْنَاء) ، صابراً على محمل أعباء اجتياز الصحراء ، متحمّلاً معه من المسلمين في البحرين ، فأمر العلاءُ أن ينزل الجارود بعبدالقيس من

---

(٥٤) الطبري (٣/٣٠١-٣٠٣) وابن الأثير(٢/٣٦٨) .

(٥٥) فتوح البلدان (١١٤) . (٥٦) القطيف: مدينة بالبحرين ، وكانت قصبتها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٣١) (٥٧) الخط : أرض في سيف البحرين وعمان ، كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند ، انظر معجم البلدان(٣/٤٤٩)

(٥٨) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، انظر معجم البلدان (٤/٢٥) .

(٥٩) جواثا : في معجم البلدان : جواثا ، بالضم ، وبين الألفين ثاء مثلثة ، وهو لعبد القيس بالبحرين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٥٥-١٥٦) .

المشقّات بإيمان وصبر . حتى أدركوا الجارود بن المُعلّى العَبْدِيّ ومَنْ معه من المسلمين في البحرين ، فأمر العلاء أن ينزل الجارود بعبد القيس من قومه المسلمين على الحُطَم مما يليه ، وسار هو فيمن معه حتى نزل الحُطَم مما يلي هَجَر في منطقة جوَاثا .

واجتمع المشركون كلهم إلى الحُطَم إلاّ أهل دارين ، واجتمع المسلمون إلى العلاء ، وخندق المسلمون على أنفسهم ، وخندق المشركون على أنفسهم أيضاً ، وكان المسلمون والمشركون يتراوحون القتال ويرجعون إلى خنادقهم ، فكانوا كذلك شهراً . وبينما هم كذلك سمع المسلمون ضوضاء هزيمة أو قتال ، فبعث العلاءُ عبدَالله بن حَذَف ليستطلع جليّة الأمر ، فعاد ليخبر المسلمين أنّ المشركين سُكارى ، فخرج عليهم المسلمون ، ووضعوا فيهم السيف كيف شاؤوا .وهرب المشركون ، فكانوا بين ناج ومقتول ومأسور . واستولى المسلمون على معسكر المشركين . ولم يفلت رجل من المشركين إلاّ بما عليه من ثياب ، وكان الحُطَم بين قتلى المشركين .

وطارد المسلمون المشركين الهاربين ، فأُسر المنذر بن النُّعمان بن المنذر الذي كان قد سوّده المشركون ، فأسلم المنذر (٦٠) .

وفي رواية أخرى ، أنّ العلاء سار بالمسلمين حتى نزل جُوَاثا ، وهو حصن البحرين ، فدلفت إليه ربيعة ، فخرج إليها بمن معه من العرب والعجم ، فقاتلها قتالاً شديداً . ثمّ إنّ المسلمين لجأوا إلى الحصن ، فحصرهم فيه عدوّهم . ثمّ إنّ العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة ، فبيّتَ ربيعة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، وقُتل الحُطَم (٦١) .

وفي رواية ثالثة ، أنّ الحُطَم أتى ربيعة بجُوَاثا ، وقد كفر أهلها جميعاً ، وأمّروا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر ، فأقام معهم . وحصرهم العلاء حتى فتح جُواثاً وقتل الحُطَم (٦٢) ، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة الهجرية

(٦٠) الطبري (٣/٣٠٤-٣١٠) وابن الأثير (٢/٣٦٨-٣٧١) ، وانظر البدء والتاريخ (٥/١٥) . (٦١) فتوح البلدان (١١٤-١١٥) . (٦٢) فتوح البلدان(١١٥).

على عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه (٦٣) .

والرواية الثالثة تقارب الرواية الأولى : المشركون في جُواثا ، والمسلمون خارجها ، وهذا ما أرجِّحه ، لأنّ المرتدين أعلنوا ردّتهم قبل عودة العلاء إلى البحرين ، فلا بدّ أن يلجأوا إلى حصن حصين في البحرين ، يعينهم على الدفاع ويساعدهم على صدِّ المسلمين ، فبادروا إلى حصن البحرين في جُواثا وتحصنوا في داخله قبل قدوم العلاء وجيشه ، فحاصرهم العلاء واستطاع إحراز النّصر عليهم .

وكانت معركة جُواثا بين المسلمين والمشركين معركة سَوْقيّة حاسمة بالنسبة لحرب المرتدين في البحرين ، وكانت المعارك التالية بين المسلمين والمشركين معارك تعبوية من معارك استثمار الفوز ، فأصبح النصر مضموناً للمسلمين على المشركين بعد اندحار المشركين في المعركة السّوْقيّة الحاسمة وهي معركة جُوَاثا .

واستُشهد بجُواثا عبدالله بن سُهَيْل بن عمرو (٦٤) ، أحد بني عامر بن لؤي ، ويكنّى : أبا سُهَيْل ، وأمّه : فاختة بنت عامر بن نَوْفَل بن عبد مَنَاف ، وكان عبدالله أقبل مع المشركين يوم بَدْرٍ ، ثمّ انحاز إلى المسلمين مسلماً ، وشهد بَدْراً مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما بلغ أباه سهيل بن عمرو خبره قال : « عندالله أحتسبه » . ولقيه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، وكان بمكّة حاجّاً ، فعزّاه به ، فقال سُهَيْل : « إنّه بلغني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : يشفع الشّهيد في سبعين من أهله ، وإني لأرجو أن لا يبدأ ابني بأحدٍ قبلي » ، وكان يوم استُشهد ابن ثمانٍ وثلاثين سنة .

---

(٦٣) معجم البلدان (١٥٥/٣) .

(٦٤) عبدالله بن سهيل بن عمرو : انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٤٠٦/٣) وأسد الغابة (١٨٠/٣) والأصابة (٨٤/٤) والاستيعاب (٩٢٥/٣) .

واستشهد عبدالله بن عبدالله بن أبَيّ يوم (٦٥) جُواثا أيضاً ، وقيل استُشهد يوم اليَمَامَة (٦٦) .

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا عدد المسلمين الذين استُشهدوا في هذه المعركة الحاسمة ، ولكنّ بعض تلك المصادر ذكرت البدريين فقط الذين استشهدوا في جواثا ، مما يدل على أن هذه المعركة لم تكن سهلة التكاليف ، بل كانت معركة قاسية جداً . كما ويدل على أنّ المسلمين لم يباغتوا المشركين وهم سكارى ، بل قاتلوا المشركين وهم مستعدّون للقتال في معركة مدبّرة ، ولا يمنع أن يكون قسمٌ منِ المشركين كانوا سكارى ، ولكن لم يكن كلّ المشركين سكارى على كلٍّ حال ، وإلاّ لما تكبّد المسلمون هذا العدد الضخم من الشهداء ولما تحملوا هذا النّصب الشديد لإحراز النّصر .

وقصد معظم الهاربين من المشركين يوم جُواثا إلى دارِين ، فركبوا إليها السُّفن ، ولحق الباقون ببلاد قومهم ، فكتب العلاء إلى مَنْ ثبت على إسلامه من بكر بن وائل ، منهم عُتَيْبَة بن النّهّاس (٦٧) والمُثَنّى بن حارثة (٦٨) وغيرهما يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدّين بكل طريق ، ففعلوا . وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك . وندب الناس إلى دارِين وقال لهم : « قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم واستعرضوا البحر » . وارتحل العلاء وارتحلوا ، حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك ، وفيهم الراجل ، ودعا الله ودعوا ، فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله ، يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وبين السّاحل ودارين يوم وليلة لسفن البحر ، فالتقوا

(٦٥) عبدالله بن عبدالله بن أبي : انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٣/٥٤٠) وأسد الغابة (٣/١٩٧) والأصابة (٣/٩٥) والاستيعاب (٣/٩٤٠) .

(٦٦) فتوح البلدان (١١٦) .

(٦٧) عتيبة بن النهاس : انظر ما جاء عنه في : ابن الأثير (٢/٢٧١ و ٣٨٨ و ٣٩٢ و٤٤٧) و (٣/١٤٧ و١٨٧) و (٤/٢٢٤) وغيره من المصادر التاريخية .

(٦٨) المثنى بن حارثة الشيباني : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٩-٥٠) .

واقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفر المسلمون وانهزم المشركون ، وأكثر المسلمون القتل في المشركين ، فما تركوا بها مُخْبِراً ، وغنموا وسبوا ، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا ، فثبت الإسلام في البحرين بالقضاء على المرتدين .

وكتب العلاء إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، يعرِّفه هزيمة المرتدين وقتل الحُطَم (٦٩) .

وفي رواية ، أنّ أحد الأدلاّء دلّ العلاء وجيشه على المخاضة إلى دارين ، فتقحم العلاء في جماعة من المسلمين البحر . فلم يشعر أهل دارين إلاّ بالتكبير ، فخرجوا . وقاتل المسلمون أهل دارين من ثلاثة أوجه ، فقتلوا مقاتلتهم ، وحووا الذرارى والسبي (٧٠) .

ومهما يكن من أمر ، فقد استطاع العلاء استعادة فتح البحرين كافة عَنْوَة ، وخاض عدّة معارك (٧١) لاستعادة البحرين والقضاء على المرتدين ، وقد جعل قسم من المؤرخين استعادة فتح المناطق البحرانية بعد معركة جُواثا قد جرى سنة ثلاث عشرة الهجرية على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (٧٢) ، ولكن سير حوادث القتال وتعاقب الأحداث تدل على أنّ استعادة الفتح جرى على عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، وهذا ما تؤيده معظم المصادر المعتمدة .

وهكذا استطاع العلاء فتح البحرين صلحاً على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستطاع استعادة فتح البحرين عَنْوَة على عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، وكان للعلاء أثر كبير في قتال المرتدين من أهل البحرين (٧٣) أيّ أثر .

---

(٦٩) الطبري (٣/٣١٠-٣١٣) وابن الأثير (٢/٣٧١-٣٧٢) ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط (١/٨٣) .

(٧٠) فتوح البلدان (١١٧-١١٨) .

(٧١) انظر التفاصيل في : فتوح البلدان (١١٥-١١٨) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٩٣-٩٤) .

(٧٢) تاريخ خليفة ابن خياط (١/٩٣-٩٤) وانظر فتوح البلدان (١١٧-١١٨) .

(٧٣) أسد الغابة (٤/٧) .

٢ – جهاده في منطقة فارس

فاز العلاء في قتال أهل الرِدَّة بالفضل ، فلما ظفر سعد بن أبي وَقّاص بأهل القادسيّة وأزاح الأكاسرة ، جاء بأعظم مما فعله العلاء في حرب الرِدّة ، فأراد العلاء أن يصنع بالفُرس شيئاً ويحرز النصر عليهم كنصر سعد على الفُرس في القادسية التي كانت سنة أربع عشرة الهجريّة ، دون أن يفكّر في مغبّة المعصية وأهميّة الطاعة ، إذ كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قد نهاه عن الغزو في البحر ، ونهى غيره أيضاً ، اتّباعاً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، خوفاً من أخطار ركوب البحر ، دون كفاية خاصة وتجربة طويلة بركوبه .

ولكن العلاء ندب الناس إلى فارس ، فأجابوه ، ففرّقهم أجناداً ، على أحدها الجارود بن المُعَلّى ، وعلى الآخر سَوّار بن هَمّام ، وعلى الآخر خُلَيْد بن المُنْذِر بن سَاوَى ، وخُلَيْد على جميع الناس ، وحملهم في البحر إلى فارس ، بغير إذن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

وعبرت الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا إلى (إصْطَخْر) (٧٤) وبأزائهم أهل فارس ، وعليهم الهِرْبِذ ، فجالت الفُرْس بين المسلمين وبين سفنهم ، وقطعوا خطوط رجعة المسلمين إلى سفنهم ، فقام خُلَيْد في الناس ، فخطبهم فقال : « أما بعد ! فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم ، وإنّما جئتم لمحاربتهم ، والسفن والأرض لمن غلب : فـ (اسْتَعِيْنُوا بالصَّبْرِ والصَّلاة وإنّها لكَبِيْرَةٌ إلاّ عَلَى الخاشِعِيْن) (٧٥) ، فأجابوه إلى ذلك . ثم صلّى المسلمون الظهر وهاجموا الفُرس ، وقاتلوهم قتالاً شديداً بمكان

(٧٤) إصطخر : بلدة بفارس سعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٧٥–٢٧٧) .

(٧٥) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٤٥) .

يدعى : (طاوُوس)(٧٦) ، فقُتل سُوّار والجارود .

وكان خليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا الفُرس رجّالةً ، ففعلوا ، فقُتل من أهل فارس مَقتلة عظيمة . ثم خرج المسلمون يريدون البَصْرَة ، فلم يجدوا إلى الرجوع إلى البحر سبيلا ، وأخذت الفرسُ منهم طرقهم ، فعسكروا وامتنعوا بإتّخاذ موضع دفاعيّ دافع عنه المسلمون دفاعاً مستميتاً (٧٧) .

وكان السّوّار قد قاتل قتالاً شديداً قبل أن يُقتل ، وجعل يرتجز يومئذٍ ويذكر قومه ويقول :

يا آل عبد القَيْسِ للقِـــــراع قد حَفَلَ الأَمْدادُ بالجِراع (٧٨)
وكلُّهـــم في سَنَنِ المِصَـــاع (٧٩) يُحْسِنُ ضَرْبَ القومِ بالقَطّاع

حتى قُتل عليه رحمة الله .

وجعل الجارود الذي قاتل قتال الأبطال قبل أن يُقتل يرتجز ويقول :

لو كانَ شــيئاً أممـــا أكَلْتُهْ أو كان ماءً سادِماً جَهَرْتُه (٨٠)
لكنّ بحراً جاءنا أنكَرْتُهْ .

حتى قُتل عليه رحمة الله .

وجعل خُلَيْد يومئذٍ يرتجز ويقول :

يالَ تَميم أجْمعوا النُّزُول وكاد جَيْشُ عُمَرٍ يَزُولْ
وكُلّهم يَعْلَم ما أقول (٨١) .

وقال خُلَيْد في يوم طاووس :

(٧٦) طاووس : موضع بنواحي بحر فارس على سيف البحر ، انظر معجم البلدان (١٠/٦)
(٧٧) الطبري (٤/٧٩-٨٢) وابن الأثير (٥٣٩٨/٢) .
(٧٨) يقال : حفل القوم ، إذا اجتمعوا واحتشدوا . والجراع : جمع جرعة ، وهي الرملة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها .
(٧٩) الماء السادم : المتغير . وجهرته : عرفته وكشفته .
(٨٠) المصاع : المجالدة والمضاربة . (٨١) الطبري (٨٠/٤) .

بطاووس ناهبنا الملوك وخيلُنا عشيةَ شَهْرَاك(٨٢) عَلَونَ الرواسيا
أطاحت جموعَ الفُرس من رأس حالقٍ تراه كمُوَّار السَّحابُ مَناغيا
فلا يبعدنَّ اللهُ قوماً تتابعوا فقد خضبوا يوم اللقاء العواليا (٨٣)

ولكن تفوّق الفرس الساحق على المسلمين ، جعل الخيار الوحيد أمام المسلمين هو الدفاع المستميت .

ولما بلغ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه صنع العلاء ، أرسل إلى عُتْبَة بن غَزْوان (٨٤) أمير البصرة ، يأمره بإنفاذ جندٍ كثيف من المسلمين إلى المسلمين المحاصَرين بفارس قبل أن يهلكوا ، وكتب إلى عُتْبَة : « انّ العلاء ابن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين ، فأقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، فخشيت عليهم ألاّ يُنْصروا وأن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس وأضممهم إليك قبل أن يُجتْاحوا (٨٥) .

وأرسل عُتبة جيشاً كثيفاً من البصرة إلى فارس في اثني عشر ألف مقاتل ، فيهم عاصم بن عمرو التّميْمِيّ (٨٦) وعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة البَارِقيّ(٨٧) والأحنف بن قيس التّمِيْمِيّ (٨٨) وغيرهم ، فخرجوا على البغال يجنبون الختل ، وعليهم أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم (٨٩) أحد بني عامرِ بن لؤيّ ،

(٨٢) شهراك : اسم قائد الفرس ، انظر الطبري (٨١/١٤) ، وجاء اسمه : شهراك في معجم البلدان (١٠/٦) .
(٨٣) معجم البلدان (١٠/٦)
(٨٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٢١ – ٤٣٠) .
(٨٥) الطبري (٨١/٤) .
(٨٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٧٧ – ٢٨٩) .
(٨٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٨٧ – ٣٩٤) ، وكان العلاء قد بعث عرفجة بن هرثمة إلى أسياف البحر ، فقطع في السفن ، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس واتخذ فيها مسجداً وأغار على باريخان والأسياف وذلك في سنة أربع عشرة الهجرية ، انظر طبقات ابن سعد (٣٦٢/٤) .
(٨٨) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢١٥ – ٢٤٦) .
(٨٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (١٥٥ – ١٦٠) .

فسار بالناس وساحل بهم لا يعرض له أحد ، حتى التقى أبو سَبْرَة وخُلَيْد بحيث أُخذ عليهم الطريق عُقَيْبُ وقعة طاووس . وكان قد ولِيَ قتالَ المسلمين الذين كانوا بقيادة خُلَيْد أهلُ إصْطَخْر وحدهم ومَنْ شذَّ من غيرهم ، وكان أهل إصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين ، فجمعوا أهل فارس عليهم ، فجاؤوا من كلٍّ جهة ، فالتقوا هم وأبو سَبْرَة بعد موضـع طاووس وقد توافت إلى المسلمين امـداداتهم ، وكان الفرس بقيادة شَهْراك (شَهرَك – سَهْرَك) ، فاقتتل الجانبان : المسلمون والمشركون ، ففتح اللهُ على المسلمين وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا ، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة البصرة ، وكانوا أفضل نوابت الأمصار ، ثم انكفأوا بما أصابوا ، وكان عُتبة كتب إليهم بالحثّ وقلّة العُرْجَة (٩٠) ، فرجعوا إلى البصرة سالمين (٩١) .

لقد استطاع جيش البصرة بقيادة أبي سَبْرة ، انقاذ جيش البحرين الذي أرسله العلاء إلى أرض فارس بقيادة خليد بعد قتال مرير ، وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجريّة (٩٢) .

لقد فتح العلاء بالرغم من إخفاق حملته في هذه الغزوة ، أسيافاً (٩٣) من فارس (٩٤) ، كما ذكر بعض المؤرخين .

ومن الواضح أنّ قوات العلاء انسحبت من فارس بعد أن طوّقها العدو وضيّق عليها الخناق ، فاضطرّت على أن ترضى من الغنيمة بالإياب ، فقد كان موقفها حرجاً يائساً ، فما استطاعت أن تفتح شيئاً من فارس ، ولكنّ حملة العلاء قدّمت تجارب عسكرية جديدة للمسامين الفاتحين ، فعرفوا منطقة فارس معرفة عملية ، وخبروا طاقات الفُرس وأساليب قتالهم ،

(٩٠) العرجة : المقام . (٩١) الطبري (٤/٧٩ – ٨٢) وابن الأثير (٢/٥٣٨ – ٥٣٩).
(٩٢) الطبري (٤/٧٩) . (٩٣) أسياف : جمع سيف بكسر السين ، وهو ساحل البحر .
(٩٤) المعارف (٢٨٤) .

ممّا هيّأ لهم أسباب فتح بلاد فارس بسهولة ويسر بعد مدّة قصيرة ، كما هو معروف .

وعلى هذا يمكن اعتبار حملة العلاء على أرض فارس ، إخفاقاً تعبوياً ونصراً سَوْقِيّاً (٩٥) ، والنصر السَّوْقِيّ أهم من الاخفاق التعبوي على كل حال .

الاداري

١– ولّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم البحرين العلاء (٩٦) ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، فأسلم المنذر بن ساوَى وأسلم جميع العرب هناك وبعض العجم . أما المجوس ، ويهود ، والنصارى ، فإنّهم صالحوا العلاء ، وكتب بينه وبينهم كتاباً هذا نصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرميّ أهل البحرين ، صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر ، فمن لم يَفِ بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأما جزية الرؤوس ، فإنّه أخذ لها من كلّ حالم ديناراً .

٢– وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل البحرين : « أما بعد ! فإنكم إذا أقمتم الصّلاة ، وآتيتم الزّكاة ، ونصحتم الله ورسوله ، وآتيتم عشر النّخل ، ونصف عشر الحَبِّ ، ولم تمجِّسوا (٩٧) أولادكم ، فلكم ما أسلمتم عايه ، غير أنّ بيت النار لله ورسوله ، وإن أبيتم فعليكم الجزية » . وكان العلاء يقول : « بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى البحرين (أو قال هَجَر) ، وكنت آتى الحائط بين الأخوة قد أسلم بعضهم فآخذ

---

(٩٥) استراتيجياً . (٩٦) جمهرة أنساب العرب (٤٦١) وفتوح البلدان (١٠٧) .

(٩٧) مجس : مجسه تمجيساً – صيره مجوسياً . وتمجس : صار من المجوس ، كما يقال : تهود ، وتنصر .

من المسلم العشر ومن المشرك الخراج » ، ولم يكن بالبحرين في أيام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتال ، ولكن أسلم بعضهم ، وصالح بعضهم العلاء على أنصاف الحب والتمر (٩٨) .

٣- وقد حمل العلاء من مال البحرين إلى بيت مال المسلمين مائة وثمانين ألفاً من الدراهم في رواية ، وثمانين ألفاً (١٠٠) من الدراهم في رواية ثانية .

٤- وبقي العلاء على البحرين حتى التحق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى (١٠١) في رواية .

وفي رواية أخرى، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعث العلاء إلى البحرين، ثمّ عزله عن البحرين ، وبعث أبان بن سعيد بن العاص (١٠٢) ، وقال له « استَوْص بعبد القيس خيراً وأكرم سَراتهم » (١٠٣) .

وفي رواية ثالثة ، أنّ العلاء كان على ناحية من البحرين منها القَطِيْف ، وأنّ أبان كان على ناحية أخرى ، فيها الخَطّ (١٠٤) .

وأكثر المراجع والمصادر المعتمدة ، تتّفق على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يعزل العلاء عن البحرين (١٠٥) ، والتحق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى والعلاء لا يزال والياً على البحرين فأقرّه عليها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وهذا ما يؤيده المنطق السليم ، فما كان أبو بكر ليولي العلاء على البحرين بعد أن عزله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عنها ، ولا أن

---

(٩٨) انظر التفاصيل في : فتوح البلدان (١٠٦-١٠٩) .
(٩٩) البدء والتاريخ (٢٥/٥) (١٠٠) فتوح البلدان .
(١٠١) الطبري (١٣٧/٣)وابن الأثير (٢٩٨/٢) والبداية والنهاية (١٢٠/٧) وتهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١) .
(١٠٢) انظر سيرته في : أسد الغابة (٣٥/١ – ٣٧) والإصابة (١٠/١ – ١١) والاستيعاب (٦٢/١ – ٦٤) . (١٠٣) طبقات ابن سعد (١٦٠/٤ – ٣٦١) وفتوح البلدان (١١١)
(١٠٤) فتوح البلدان (١١١) والمجد (٢٦) .
(١٠٥) انظر مثلا : أسد الغابة (٧/٤) والإصابة (٢٥٩/٤) والا ستيعاب (١٠٨٦/٣) .

يعقد له لواءً لحرب المرتدين في البحرين بعد أن عزله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت سياسة أبي بكر في تولية الولاة معروفة : إقرار ولاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ولاياتهم وتثبيتهم في عملهم .

ويبدو أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولى أبان بن سعيد منطقة من مناطق البحرين ، فاشتبه ذلك على قسم من المؤرخين ، فحسبوا أن النبيّ صلّى الله عايه وسلّم عزل العلاء عن البحرين ، وما عزله ولكن ولّى مَنْ يعينه .

٥ـ وقد أحسن العلاء في ولايته غاية الإحسان ، كما أحسن في تولي الصدقات ، وكان كاتباً من كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم (١٠٦) ، وهناك نصوص في بعض الكتب النبوية تذكر أنّ كاتبها هو العلاء (١٠٧) .

وكما كان العلاء من عمّال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد كان من عمال خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فكان عامله على البحرين(١٠٨) حتى توفي أبو بكر ، فأقره عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (١٠٩) .

ولما استعمل عمر بن الخطاب على البصرة عُتْبَة بن غَزْوَان سنة أربع عشرة الهجرية ، كتب إلى عُتْبَة فيما كتب : « يا عُتْبة ! إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها . وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة ، وهو ذو مجاهدة العدو ومكايدته ، فإذا قدم عليك فاستشره وقرّبه (١١٠) . . . » ، مما يدلّ على أنّ العلاء كان ناجحاً في إدارة ولايته ، مكتفياً ذاتياً برجاله في إدارتها ، ولديه قوّات إضافية متيسّرة ، يعاون بها الأمصار المجاورة عند حاجتها إلى معاونته .

(١٠٦) الطبري (١٧٣/٣) وابن الأثير (٣١٣/٢) وأنساب الأشراف (٥٣٢/١) .
(١٠٧) انظر مغازي الواقدي (٧٨٢/٢) .
(١٠٨) الطبري (٤٢٧/٣) وابن الأثير (٤٢١/٢) وتاريخ خليفة بن خياط (٩١/١) .
(١٠٩) تاريخ خليفة ابن خياط (٩١/١) .
(١١٠) الطبري (٥٩٣/٣) وابن الأثير (٤٨٦/٢) .

٦- وجاءت سنة سبع عشرة الهجرية ، والعلاء على البحرين ، وكان العلاء يباري سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه ، فطار العلاء على سعد في الرِدَّة بالفضل ، فلما ظفر سعد بالقادسية سنة أربع عشرة الهجريّة ، وأزاح الأكاسرة عن العراق ، وأخذ حدود ما يلي (السّوَاد) (١١١) ، واستعلىَ وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به ، سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم ،فرجا أن يُدال كما قد كان أُديل ، ولم يقدِّر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدّ ، وكان عمر بن الخطّاب قد نهاه عن البحر ، فلم يقدِّر الطاعة والمعصية ، فحمل الناس في البحر إلى فارس بغير إذن عمر ، وكان عمر لا يأذن لأحدٍ في ركوب البحر غازياً ، يكره المخاطرة بجنده استناناً بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبأبي بكر ، لم يغزُ فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا أبو بكر ، فنكب المسلمون من جيش العلاء كما ذكرنا ، ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ، اشتد غضب عمر على العلاء ، وكتب إليه بعزله ، وتوعّده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه ، بتأمير سعد عليــه ، وقال : « الْحَقْ سعــد بن أبي وقّاص فيمن قِبَلك » ، فخرج بمن معه نحو سعد (١١٢) .

وفي رواية ، أنّ عمر بن الخطّاب كتب إلى العلاء وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه ، وولّى عثمان بن أبي العاص (١١٣) الثّقفي البحرين وعُمَان ، فاما قدم العلاء المدينة المنورة ، ولاه البصرة مكان عُتْبَة بن غزوان ، فلم يصل إليها حتى مات (١١٤) .

(١١١) السواد : رستاق العراق وضياعها ، وسمى بذلك لسواده بالزرع والنخيل والأشجار ، لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر ، كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار ، فيسمونه : سواداً . وحد السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان ، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً ، فيكون طوله مائة وستين فرسخاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٥٩ - ١٦٤) .

(١١٢) الطبري (٤/٧٩ - ٨١) وابن الأثير (٢/٥٣٨ - ٥٣٩) .

(١١٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلا د فارس (٢٦٢ - ٢٦٩) .

(١١٤) فتوح البلدان (١١٢) .

وفي رواية ، أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى العلاء وهو بالبحرين : « أن سِرْ إلى عُتْبَة ، فقد وليتك عمله » ، فسار العلاء، فمات بـ (تِياس) (١٥) من ارض بني تَمِيْم قبل أن يصل (١١٦) إلى البصرة .

وفي رواية ، أن عمر بن الخطاب ، ولاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل إليها (١١٧) .

٧- وأرجِّح أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، ولاّه البصرة بعد موت عُتْبة بن غزوان ، وعزله عن البحرين ، لان عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد إخفاق حملته على أرض فارس ، ومخالفته لأمر عمر في ركوب البحر ، وهي مخالفة صريحة لأوامر عمر الجازمة في عدم ركوب البحر ، فكان عزله عن البحرين عقاباً له .

ولكنّ هذا العقاب لم يكن ليصل إلى حدّ كسر عزّة العلاء ، وتحميله من الأمر ما لا يطيق ، وذلك بجعله تحت إمرة سعد بن أبي وقاص المباشرة ، الذي كان العلاء ينافسه في خدمة الإسلام عن طريق الفتح ، فمن المعقول إذاً نقله من البحرين إلى ولا ية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة ، فيكون ذلك العقاب عقاباً لا يرقى إلى درجة الإذلال والمهانة والانتقام ، التي كانت بعيدة كلّ البعد عن خلق السلف الصالح من أمثال عمر بن الخطّاب وعن خلق القرآن الكريم التي يلتزم به عمر بن الخطّاب .

كما أنّهم كانوا لا يحطّمون المرء لزلّة من الزلاّت ، ضاربين بماضيه المجيد عرض الحائط ، ومتناسين أعماله في خدمة الإسلام والمسلمين ، بل كانوا يذكرون المرء بأحسن ما فيه ولا ينسون له ما قدّمت يداه من خير .

---

(١١٥) تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة ، وقيل : جبل بين البصرة واليمامة ، انظر معجم البلدان (٤٣٨/٢) .
(١١٦) تاريخ خليفة بن خياط (٩٦/١) والمعارف (٢٨٤) .
(١١٧) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

لقد كانوا بحق يبنون الرجال، بعكس الحاكمين الذين يحطّمون الرجال ، بالقضاء عليهم دون رحمة بعد أوّل زلّة من الزلاّت ، غير مكترثين بماضي المرء وأعماله المجيدة .

فما أحرى حكام اليوم أن يتعلّموا كيف كان السّلف الصّالح يبنون الرجال ، فليس من مصلحتهم ولا من مصلحة أمتهم وأوطانهم تحطيم الرجال، حتى خلت الديار من الرجال ، وسادت العُمْلة الرديئة على العُمْلة الجيدة ، وأشباه الرجال على الرجال ! .

وقد أحسن العلاء سفيراً وقائداً ووالياً وجابياً غاية الإحسان ، وأخطأ مرة ، والحسنات يذهبن السيئات .

الإنسان

أصل العلاء من حَضْرَمَوْت ، سكن أبوه مكّة المكرّمة ، فولد بها العلاء ونشأ ، وتعلّم القراءة والكتابة فيها ، وكان الذين يحسنون القراءة والكتابة قليلين جداً في عرب الجزيرة العربية ، فأصبح أحد كتّاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١١٨) في كتابة الوحي ورسائله النبويّة .

وأخباره إنساناً قليلة جداً في المصادر المعتمدة ، لا تتناسب مع ما بذله من جهد صادق أمين في خدمة الإسلام والمسلمين سفيراً وأميراً وجابياً ومجاهداً وقائداً ، فلا ندري متى ولد ، وكيف عاش ، وهل له عقب أم ليس له عقب ، ولا نعلم عن عقبه شيئاً .

وقد تحدّثت المصادر المعتمدة عن إيمانه العميق وتقواه وورعه ، ويقال إنّه كان مستجاب الدعوة (١١٩) ، كدليل على تقواه وورعه العميقين ، وكان الصحابيّ الجليل أبو هُرَيرة رضي الله عنه يقول : « رأيت من العلاء بن

(١١٨) ابن الأثير (٣١٣/٢) والسيرة الحلبية (٣٦٤/٢) .
(١١٩) الاستيعاب (١٠٨٧/٢) والمعارف (٢٨٤) وتهذيب الأسماء واللغات (٧٤٢/١) .

الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبّه أبداً : رأيته قطع البحر على فرسه يوم دَارين ، وقدم من المدينة يريد البحرين ، فلما كان بالدَّهْناء نفد ماؤهم فدعا الله فنبع لهم من تحت رَمْلَةٍ فارتوا وارتحلوا ، وأنسيَ رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه ولم يجد الماء ، وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة ، فلما كنا بتياس مات ونحن على غير ماء ، فأبدى الله لنا سحابة فمُطِرْنا فغسّلناه وحفرنا له بسيوفنا ولم نُلْحِد له ودفنّاه ومضينا ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : دفنّاه ولم نُلْحِدْ له ، فرجعنا لنُلْحِدَ له ، فلم نجد موضع قبره » (١٢٠) .

وذكرت تلك المصادر المعتمدة ، أنّ العلاء سَلك بجيشه الدَّهْناء في طريقه من المدينة إلى البحرين لحرب المرتدين في ردَّة أهل البحرين ، حتى إذا كانوا في بُحْبُوحتَها — بحبوحة الدَّهْناء — نزل وأمر الناس بالنزول في اللَيْل ، فنفرت إبلهم بأحمالها ، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء ، فلحقهم من الغمّ ما لا يعلمه إلاّ الله ، ووصّى بعضهم بعضاً ، فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه ، فقال : « ما هذا الذي غاب عليكم من الغم ؟ ! » ، فقالوا : « كيف نُلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمَ الشمس حتى نهلك ! » ، فقال : « لن تُراعوا ! أنتم المسلمون ، وفي سبيل الله وأنصار الله ، فأبشروا ، فوالله لن تُخْذَلوا ». فلما صلّوا الصبح ، دعا العلاء ودعوا معه ، فلمع لهم الماء ، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا . فما تعالى النّهار حتى أقبلت الإبل تُجمع من كلّ وجه ، فأناخت إليهم ، فسقوها . وكان ابو هُرَيْرَة فيهم ، فلما ساروا عن ذلك المكان ، قال لمِنْجاب بن راشد (١٢١) : « كيف علمك بموضع الماء ؟ » ، قال : « عارف به ! » ، فقال : « كنْ معي حتى تُقيمني عليه » ، قال : « فرجعت

(١٢٠) طبقات ابن سعد (٣٦٣/٤) .

(١٢١) وهو الدليل في رحلة العلاء والمسلمين في هذه المرحلة الصحراوية .

به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء، فقلت له : والله لولا الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان ، وما رأيت بهذا المكان ماءً قبل اليوم (١٢٢) .

وكتب العلاء إلى أبي بكر الصدّيق : « أما بعد ! فإنّ الله تبارك وتعالى فجرّ لنا الدَّهْناء فيضاً لا تُرى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب لنحمد الله ونمجّده ، فادْعُ الله واستنصره لجنوده وأعوان دينه » .

فلما تسلّم أبو بكر الصدّيق كتاب العلاء ، حمد الله ودعاه ، وقال : « لا زالت العرب فيما تحدّث عن بلدانها ، يقولون : إنّ لقمان حين سُئل عن الدَّهْناء: أيحتفرونها أو يَدَعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأَرْشيَة ، ولم تقرّ العيون ، وإن شأن هذا الفيْض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به في أمّه قبلها . اللّهمّ أخلف محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فينا » (١٢٣) .

هذا بعض ما جاء عن إحدى كرامات الرجل الصالح العلاء في الدَّهْناء .

أما ما جاء عن كرامة من كراماته في استعادة فتح دارين ، من أنّه ندب الناس إلى دارين ، ثمّ جمعهم فخطبهم ، وقال : « إنّ الله قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشُرَّدَ الحرب ،وقد أراكم من آياته في البرّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم ، ثمّ استعرِضوا البحر إليهم ، فإنّ الله قد جَمعهم » ، فقالوا : « نفعل ولا نهاب والله بعد الدَّهْناء هَوْلاً ما بقينا » .

وارتحل العلاء وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصّاهـل (١٢٤) والجامِل (١٢٥) والشّاحِج (١٢٦) والنّاهق والرّاكب والرّاجل (١٢٧) ، ودعا ودعوْا ، وكان دعاؤه ودعاؤهم : : « يا أرحم

(١٢٢) الطبري (٣٠٦/٣ - ٣٠٨) وابن الأثير (٣٦٩/٢) .

(١٢٣) الطبري (٣١٣/٣) .

(١٢٤) الصاهل : الفرس ، والصهيل صوته .

(١٢٥) الجامل : القطيع من الإبل .

(١٢٦) الشاحج : البغل ، والشحيج صوته .

(١٢٧) في الأغاني : فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ، فاقتحموا على الخيل ، هم والإبل والبغال ، والراكب والراجل .

الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحَد ، يا صَمَد ، يا حيّ، يا مُحيي الموتى ، يا حيّ يا قيوم ، لا إله إلاّ أنت ، يا ربّنا » ، فأحازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رَمْلة مَيثاءَ ، فوقها ماء يغمُر أخفاف الإبل ، وإنّ ما بين السّاحل ودَارين مسيرة يوم وليلة لسُفُن البحر في بعض الحالات (١٢٨) .

وللمرء أن يصدِّق ما روته المصادر المعتمدة عن العلاء أو لا يصدِّق ، ولكن ذكر أمثال هاتين الكرامتين للعلاء إن دلّتا على شيءٍ فانّهما تدلاّن على ما كان يتمتّع به من إيمان عميق ، ولا شيء يُستَكْثر على المؤمن الحق . فطالما أثمر الإيمان الأعاجيب ، وليس من الصواب أن نقيس كلّ شيءٍ بالمقاييس المـادية وحدها دون غيرها من المقاييس ، إذ هنـاك من القضايا المعنويّة ما يصعب قياسها بالمقاييس الماديّة ، فشتان بين المادة والروح .

ولئن حرصتُ على نقل هاتين الكرامتين للعلاء من المصادر المعتمدة ، فلكي أسرد كلّ ما جاء عن العلاء تحقيقاً للأمانة العلميّة ، ولكي أعطي صورة متكاملة عنه إنسانا .

لقد كان العلاء بالإضافة إلى ورعه وتقواه ، شهماً غيوراً ، صادقاً وفياً ، بمزايا الخلق الكريم ، وكان متفرغاً بكل طاقاته المادية والمعنوية لخدمة الإسلام والمسلمين ، فكأنّه نسي نفسه وأهله في تفرّغه لخدمة مصالح دينه وإخوته في الدين ، إذ لا نعلم أنّه ترك درهماً ولا ديناراً ، ولا متاعاً ولا دارا ، بل ترك هذا الذكر الحميد الذي هو أثمن من كل مال وعقار .

روى له البخاري ومسلم حديثاً واحداً ، وروى عنـه السّائب بن يزيد وأبو هريرة (١٢٩) ، وروى أربعة أحاديث (١٣٠) في مجموع ما رواه من أحاديث .

---

(١٢٨) الطبري (٣/٣١٠ - ٣١١)

(١٢٩) تهذيب الاسماء واللغات (١/٣٤٢) .

(١٣٠) أسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة (٢٩٠) .

وأخيراً انتهت حياة العلاء ، فتوفي في سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥م) وقيل : سنة إحدى وعشرين (١٣١) (٦٤١ م) . وفي رواية أخرى : أنّه مات في سنة أربع عشرة الهجرية في أول سنة خمس عشرة الهجرية ، وقيل توفي سنة عشرين الهجرية (١٣٢) .

تلك نماذج من المصادر المعتمدة التي تردّدت في تاريخ وفاة العلاء ، ولكن هناك مصادر معتمدة لم تتردّد ، فقد نصت على أنّه توفي سنة إحدى وعشرين الهجرية (١٣٣) ، وهذا ما نرجّحه ، لأنّ العلاء غزا أرض فارس سنة سبع عشرة الهجريّة ، فلا بدّ من أن تكون وفاته بعد ذلك ، أي سنة إحدى وعشرين الهجرية ، وهي السنة التي تردّد قسم من المصادر المعتمدة في إثباتها سنةً لوفاة العلاء ، ولكنها ذكرتها دون البت في أمرها ، بينما لم يتردّد قسم آخر من المصادر في النصّ على أنّها سنة وفاة العلاء .

لقد كان العلاء بحق من أولئك الرجال الأفذاذ الذين عاشوا لعقيدتهم وماتوا في سبيلها فنسوا أوّل ما نسوا في غمرة التفرغ لخدمة تلك العقيدة أنفسهم ، فما نساهم الله ولا الناس ولا التاريخ ، وكانوا الأسوة الحسنة للذين يعملون لقلوبهم لا لجيوبهم ، وللمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة ، ولعقيدتهم وإخوتهم في العقيدة لا لأنفسهم وأهليهم في النسب والقُربى .

القائد

كان للعلاء أثر عظيم في قتال أهل الرِدّة عند البحرين (١٣٤) ، فقد استطاع إحراز النّصر على المرتدين ، بالرغم من تفوّقهم السّاحق على المسلمين

(١٣١) أسد الغابة (٧/٤) والإصابة (٢٥٩/٤) والاستيعاب (١٠٨٦/٣) وتهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١ – ٣٤٢) والبداية والنهاية (١٢٠/٧) .
(١٣٢) فتوح البلدان (١١١ – ١١٢) .
(١٣٣) ابن الأثير (٢١/٣) والعبر (٢٥/١/) وجمهرة أنساب العرب (٤٦١) .
(١٣٤) تهذيب الأسماء والنغمات (٣٤٢/١) .

في العَدَد والعُدَد ، ونشوب القتال في عقر دارهم بعيداً عن قواعد المسلمين .
ولكنّه لم يكن مصيباً في قراره الخاص بعبور البحر إلى فارس ، لأنّ إطاعة الأوامر أساس من أقوى أسس الجنديّة في كلّ زمان ومكان .

ولست أشكّ بتاتاً ، في أنّ العلاء اجتهد فأخطأ ، وأنّ نيّته سليمة تتّجه بكلّ طاقاتها لخدمة الإسلام والمسلمين – ومن هذه الطاقات ، سلوك طريق التّنافس الشّريف في الفتوح – ، إلاّ أن ذلك لا يسوّغ مطلقاً مخالفته للأوامر الصّريحة الصّادرة إليه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعدم ركوب البحر ، خوفاً على المسلمين .

ولكنّ هذه المخالفة بالذات ، تدلّ على حبّ العلاء للمسؤوليّة وإقدامه على تحمّلها كاملة ، حتى تجاه قائدٍ أعلى قويّ غاية القوّة ، مثل عمر بن الخطّاب .

لقد كان العلاء ينافس سعداً في ميدان الفتوح فأين ينافسه إذا لم يعبر البحر إلى فارس ؟ لقد كان العبور إلى فارس ، هو المسلك الوحيد الذي يستطيع العلاء سلوكه دون منافس ، ويستطيع من خلاله أن يحقّق فتحاً جديداً للمسلمين ، لأنّ العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره . والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالإسلام ويحكمها ولاةٌ مسلمون ، فليس للعلاء ميدان يظهر به جهاده وجهوده غير بلاد فارس . ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الأعلى عمر بن الخطّاب في ركوب البحر إلى فارس ، وبخاصة وأنّ عمر أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس ، وأقدر على استكمال ما تحتاج إليه تلك المعركة من أمور ماديّة ومعنويّة ، قبل خوضها لضمان النصر ، ثم المسؤول الأول عن إدارة المعارك لقادته كافة في جميع جبهات القتال .

لقد اجتهد العلاء فأخطأ ، وللمخطئ حسنة ، وللمصيب حسنتان .

وكانت له قابليّة متميّزة على إصدار القرارات السريعة الصحيحة ،

لذكائه وحرصه على الحصول على المعلومات عن العدو ، وحذره ويقظته ، ومعرفته المستفيضة بالأرض التي يقاتل عليها وبالعدو الذي يقاتله ، لأنّه أمضى ما يناهز الأربع سنوات في البحرين سفيراً وأميراً وعاملاً على الصدقات وداعياً إلى الله .

وكان يتحلّى بالشجاعة الشخصيّة النادرة ، فهو من قادة العقيدة الذين لا يبالون أوقعوا على الموت ، أم وقع الموت عليهم ، والشهادة في سبيل الله من أغلى أمانيهم ، وإنّما الجهاد بالنسبة إليهم يؤدي إمّا إلى النّصر أو الشهادة ، فهم يحرصون على الشهادة حرصهم على النّصر ، ومعنوياتهم العالية المرتكزة على الإيمان الرّاسخ هي من أهم عوامل شجاعتهم الشخصية .

وكان يتحلّى بالإرادة القويّة الثابتة التي لا تتزعزع ولا تتردّد ولا تنثنى ، ولعلّ أوضح دليل على إرادته القويّة الثابتة ، اجتيازه الدّهناء على رأس جيشه ، وليس اجتيازها بالأمر اليسير .

وسرّ إرادته القويّة ، ثقته العظيمة بالله ، واعتماده عليه وتوكّله على قدرته ، وإيمانه المطلق بأنّ الله لا يخزيه ما دام على الحق .

وكانت له نفسيّة لا تتبدّل في حالتي اليسر والعسر ، فالمؤمن بخير على كل حال ، إذا انتصر شكر ، وإذا اندحر صبر .

وكان يتمتّع بمزية سبق النّظر ، فيحسب لكل أمر حسابه ، ويتّخذ التدابير المبكّرة الكفيلة بما عسى أن يلاقيه من مشاكل وعقبات ، وبالحلول الناجعة المعقولة لحلّها .

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، لأنّه عايشهم في الحلّ والسفر وفي السلم والحرب ، مختلطاً اختلاطاً راسخاً بهم ، كأنّه فرد منهم ، له مالهم وعليه ما عليهم ، فكان يستخدم الرجل المناسب في المكان المناسب حسب كفايته وقابليته ونفسيّته ، وهذا هو سر نجاحه قائداً وإدارياً أو هو من أسرار نجاحه .

وكان يثق برجاله ثقة بغير حدود ، وكانوا يثقون به ثقة عمياء ، لأنّه كان يعمل لهم أكثر مما يعمل لنفسه ، بل نسي نفسه في غمرة العمل الدّائب لأصحابه ، فيؤثرهم على نفسه ولا يؤثر نفسه عليهم ، وبهذا استحوذ على ثقتهم المطلقة به قائداً وإدارياً وإنساناً .

وكان يحبّ رجاله ، ويبادلونه حبّاً بحب ، لأنّه يعطيهم من نفسه كلّ شيء ، ولا يريد لنفسه منهم شيئاً ، ويسخّر نفسه لمصالحهم ، ولا يسخّرهم لمصالحه ، ويعطيهم ولا يأخذ منهم .

وكان يتحلّى بشخصية قويّة نافذة ، يفرض احترامه على رجاله بدون قسر ، فيطيعونه طاعة الواثق بمن يثق به والمحب بمن يحب ، فكان يعرف ما عليه من واجبات فيؤدّيها دون نقصان ، ويعرف ما على غيره من واجبات في خدمة الإسلام والمسلمين ، فيؤدي رجاله واجباتهم أداء الذين يجدون قائدهم يسبقهم في أداء واجباته ويحرص على تنفيذ أوامره شخصياً قبل أن يطالب غيره بتنفيذها .

وكان يتحلّى بالقابلية البدنية التي تعينه على تحمل المشّاق ، والدليل على تلك القابلية نجاحه في اجتياز الدّهناء وصبره الطويل على تحمل أعباء التنقل والقتال .

وكان له ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين ، وبخاصة في فتح البحرين صلحاً بسفارته النبوية ، وأمجاده في الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم معروفة .

وعند تطبيق عمليات العلاء العسكريّة على مبادئ الحرب ، نجد أنّه كان يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، يضعه أمام عينيه ولا يحيد عنه ، وكانت معاركه : تعرضيّة ، لم يتخذ خطّة الدفاع ، فكان يؤمن بأنّ الهجوم أنجح وسائل الدفاع .

وكان في معاركه يطبّق مبدأ : المباغتة ، أهم مبادئ الحرب على الإطلاق : مباغتة بالمكان كما فعل بعبور صحراء الدّهناء ليصل إلى البحرين من أقصر طريق بأسرع وقت ممكن من اتّجاه لا يتوقّعه المرتدون – بالرغم من أخطار عبور هذه الصحراء ، ومباغتة في الزّمان ، كما فعل في مهاجمته المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقّعونه .

وكان يطبّق مبدأ : حشد القوّة ، فقد عقد أبو بكر الصدّيق له لواء على جيش في المدينة المنورة ، فزحف على رأس هذا الجيش الى المرتدين في البحرين ، وكان يستنهض المسلمين الذين يمرّ بهم في طريقه الى هدفه ، كما ضمّ إلى هؤلاء جميعاً مُسلمي البحرين الذين ثبتوا على الإسلام ولم يرتدوا ، فحشد طاقات المجاهدين كافة لحرب المرتدين .

ولكنّه كان يطبّق مبدأ : الاقتصاد بالقوّة ، فيخصّص القوات المناسبة لتحقيق أهدافه القتالية دون إفراط في الكميّة ولا تفريط فيها .

وكانت خططه التعبويّة مرنة ، يستطيع تبديلها أو تحويرها حسب الظروف والاحوال .

وكان يطبّق مبدأ : التعاون بين أقسام قوّاته المختلفة ، وبين مجموعة قوّاته والقيادة الإسلامية العليا في قاعدة المسلمين الرئيسة : المدينة المنوّرة .

وكان يطبّق مبدأ إدامة المعنويات ، فيرفع معنويات رجاله بإيمانه العميق وأسوته الحسنة وإحراز النصر ، وكان وجوده كافياً لرفع معنويات رجاله في أقسى الظروف والاحوال .

وكان يطبّق مبدأ : الأمن ، بإخراج المقدّمات والمجنبات والمؤخرات والسّاقات ومفارز الاستطلاع والحذر واليقظة والحصول على المعلومات المفصلة عن المرتدين .

وكان يطبّق مبدأ : الامور الإدارية ، فما علمنا أنّ قوّاته جاعت أو

عطشت أو شكت قلّة وسائط نقلها أو نقص الطبابة فيها . فكانت قضايا جيشه الإدارية جارية على أحسن وجه وبكفاية عالية متميزة .

إنّه كان يطبّق مبادئ الحرب كافة بكفاية واقتدار وحرص ، لذلك انتصر في جميع المعارك التي خاضها ، فهو من قادة المسلمين المتميّزين .

السّفير

كان نجاح العلاء في سفارته النبوية نجاحاً باهراً ، فقد أسلم المنذر بن ساوَى عامل كسرى على البحرين ، وأسلم معه من أهله وقومه كثير ، وأصبحت البحرين جزءً من الدولة الإسلامية الناشئة صلحاً بدون قتال ، فكان نجاح العلاء في سفارته النبوية أقصى ما يطمح إليه سفير ناجح في سفارته ، فما عوامل نجاحه سفيراً ؟

يمكن أن نعدّد خمسة عوامل لهذا النّجاح الباهر : الأول هو الانتماء والإيمان ، والثاني هو الفصاحة والعلم وحسن الخلق ، والثالث هو الصّبر والحكمة ، والرابع هو سعة الحيلة والدّهاء ، والخامس هو رواء المظهر .

أما العامل الأول ، وهو الانتماء والإيمان ، فقد كان العلاء مسلماً حقّاً في انتمائه ، لا يعرف إلا خدمة الإسلام والمسلمين ، كأنّه لم يخلق إلاّ لتحقيق هذا الهدف السّامي الرفيع .

وقد كاد تفرّغه الكامل من أجل هذا الهدف ، أن ينسى معه نفسه وما تحتاج إليه من رغبات في الحياة ، وما تصبو إليه من آمال في المستقبل القريب والبعيد .

وكان انتماؤه للاسلام عميق الجذور في نفسه ، أنساه كلّ انتماء آخر قبل إسلامه ، فتفرّغ لانتمائه الجديد .

وكان مؤمناً صادق الإيمان ، بل كان فذّاً في إيمانه ، برز على كثير

من المسلمين في ايمانه ، مع أنّ الذين برز بينهم هم من مجتمع الصحابة عليهم رضوان الله ، فوصف بأنّه : مستجاب الدعوة ، وأنّ له كرامات له المؤرخون وأصحاب السِّير والمؤلفون .

لقد كان في انتمائه إلى الإسلام ، وإخلاصه لهذا الدين ، وإيمانه الراسخ بما جاء به من عند الله ، والتزامه الثابت بكتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام ، أسوةً حسنة لمن عاش معه ولمن جاء بعده من المسلمين ، ومثلاً أعلى يُحتذى به في الانتماء الحق الرّاسخ والإيمان الصادق المتين .

أما العامل الثاني ، وهو الفصاحة والعلم وحسن الخلق ، فمن المعروف أنّ العربيّ في أيام العلاء ، كان مشهوراً بفصاحته ، ونزول القرآن الكريم على المجتمع العربيّ حينذاك متحدياً ذلك المجتمع العربيّ الفصيح بفصاحته ، دليل قاطع على ما كان يتمتّع به المجتمع العربي يومئذٍ من فصاحة عالية وبلاغة رفيعة .

واختيار العلاء ليتولى إحدى السفارات النبويّة إلى منطقة عربية مشهود لها بالفصاحة ، دليل على أنّ العلاء كان متميِّزاً بفصاحته على أقرانه في ذلك المجتمع العربيّ الفصيح ، فما كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليختار سفيراً إلى بلاد عربية معروفة بالفصاحة والبيان ، إلاّ اذا كان متميزاً بفصاحته ، ليكلِّم الناس بأسلوب يؤثر في قلوبهم وعقولهم معاً ، ويدعو الفصحاء إلى الإعجاب بفصاحته .

وقد ذكرنا أنّ العلاء كان يحسن القراءة والكتابة في مجتمع أمّي يندر فيه مَنْ يُحسن القراءة والكتابة ، والطريق إلى العلم هو القراءة والكتابة كما هو معروف . وكان العلاء من رواة الحديث كما علمنا ، كما كان فقيهاً مما رشّحه ليكون أحد عُمّال الصدقات للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وما كان ليتسنّم هذا المنصب المرموق لولا فقهه في الدين . كما أنّ النزاهة المطلقة هي

إحدى شروط تسنّم مثل هذا المنصب ، والنزاهة سمة من سمات حسن الخلق ، والإسلام جاء ليتمِّم محاسن الأخلاق ومكارمها .

وقد كان حسن الخلق من سمات المسلم الحق ، ولا يزال حسن الخلق من سماته حتى اليوم ، وسيبقى من سماته ما بقي هذا الدين .

وقد كان مجتمع الصحابة عليهم رضوان الله ، مجتمعاً متميِّزاً بكثير من المزايا والصفات ، لعلّ من أبرزها حسن الخلق ، فكانوا قمّة في محاسن الأخلاق ، وكان العلاء فرداً من هذا المجتمع المتميِّز بمكارم الأخلاق ، وكان من أفضلهم خلقاً .

أما العامل الثالث ، وهو الصبر والحكمة ، فقد كان الصبر الجميل سمة من سمات الصّحابة ، وهو مزيّة من مزايا محاسن الأخلاق وصفة من صفات المؤمنين الصادقين .

وقد وردت مادة : (صَبَر) ومشتقاتها في مائة وثلاث آيات في القرآن الكريم حثاً على التمسّك بمزية الصّبر ، وهي مزيّة أمر بها الدين وحثّ على التمسك بأهدابها .

وما جزع العلاء في مفاوضاته أيام سفارته وقبلها وبعدها ، بل صبر على تبليغ الدعوة ، حتى حقّق هدفه المنشود .

وكان حكيماً في مفاوضاته ، ولم يكن فظّاً غليظ القلب ، فما انفض الذين حمل الدّعوة إليهم من حوله ، بل أحاطوا به إحاطة السِّوار بالمعصم ، وكانوا له أهله بعد أهله وإخوةً وأصحاباً .

ونجاحه الباهر في سفارته دليل حاسم على حكمته وأناته وسعة صدره وحلمه وصبره الجميل .

أما العامل الرابع ، وهو سعة الحيلة ، فإنّ النتائج التي حقّقها العلاء في سفارته النبوية ، تثبت أنّه كان على جانب عظيم من سعة الحيلة ، ولو

لم يكن ألمعيّ الذكاء ، راجح العقل ، قوي المنطق ، بعيد النظر ، حاضر البديهة ، صائب الرأي ، نقيّ الفكر ، لما كُتب له في مهمّته الصعبة التوفيق والنّجاح .

والعامل الخامس والأخير ، وهو رواء المظهر ، ولا نصوص على رواء مظهر العلاء في اقصادر المعتمدة المتيسِّرة التي ذكرته وتحدّثت عنه ، ولكن يمكن استنتاج ذلك من توليته السفارة النبوية ، فقد اختار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سفراءه بموجب شروط معيّنة واضحة ، منها رواء المظهر، فليس من المعقول أن يتحلّى سفراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كافةً بهذا الرواء إلاّ العلاء ، فلا بدّ من أن تشمله شروط اختيار السفراء كافة كما شملت غيره من زملائه السفراء .

والعلاء وأبوه وإخوته وآل بيته حلفاء بني أُميّة ، وهم معروفون بالاهتمام بمظهرهم قبل الإسلام وبعده ، ومن المعقول أن يقتدي الحليف بحليفه ، وبخاصة وأنهم يعيشون بتماس شديد .

والصّعبة أخت العلاء ، كانت تحت أبي سفيان بن حرب ، وكان أبو سفيان سيد قريش وقائدهم حتى السنة الثامنة الهجرية ، حيث أسلم بعد فتح مكّة وتخلّى عن زعامته وقيادته لمن هو أحقّ بها منه من المسلمين الأولين ، فايس من المعقول أن يتزوج الصّعبة وهي ايست قرشيّة ويتخلّى عن بنات قومه قريش ، إلاّ إذا كان وراء زواجه بها جمالها غير الاعتيادي ، فأغراه بها جمالها الباهر ، واختارها حليلة له . فلما طلّقها خلف عليها عُبَيْد الله بن عثمان التّيميّ القرشيّ فولدت له طلحة بن عُبَيْد الله أحد العشرة المبشّرين بالجنة ، مما يدل على جمالها حتى بعد أن تخلّى عنها ريعان الشباب ، فما كسدت بعد طلاقها ، بل قبلها أشراف قريش .

وكان طلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنه، حسن الوجه، دقيق العِرْنين(١٣٥) ولا يستبعد أن يكون طلحة قد خوّل ، فورث الجمال عن أمّه وأخواله .

تلك هي مجرّد استنتاجات ، قد تصدق وقد لا تصدق ، ولكنها لا تغيّر حقيقة تفوق نجاح العلاء في سفارته النبوية ، إذ كان نجاحه في تلك السفارة باهراً فاق كل توقّع وحساب ، وهذا هو الواقع الذي لا يستطيع أن يمارى به أحدٌ من الناس .

العلاء في التاريخ

يذكر التّاريخ للعلاء ، أنّه كان سفير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى البحرين ، فاستطاع فتح البحرين صلحاً بدون قتال ، ودخل أهل البحرين في دين الله أفواجاً .

ويذكر له أنّه أحد عمال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الصدقات وأحد أمرائه على البحرين .

ويذكر له ، أنه نال شرف الصُّحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

ويذكر له ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التحق بالرفيق الاعلى والعلاء لا يزال على البحرين فأقرّه عليها أبو بكر الصِّديق ، وأقرّه عليها عمر بن الخطّاب بعد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما .

ويذكر له ، أنّه كان أحد قادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حروب رِدّة البحرين، فكان له أثر عظيم في قتال أهل الرِدّة عند البحرين(١٣٦)

---

(١٣٥) طبقات ابن سعد (٢١٩/٣) ، والعرنين : ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم .

(١٣٦) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٢/١) .

ويذكر له ، أنّه كان أوّل قائد من قادة المسلمين ركب البحر ، ففتح جزءً من ساحل فارس الغربيّ ، ومهّد السبيل للمسلمين الفاتحين لفتح بلاد فارس وضمّها إلى الدولة الإسلاميّة .

ويذكر له ، أنّه أوّل قائد مسلم ، بعث قائداً مسلماً للفتح في البحر (١٣٧) ، فعرف المسلمون السفن وركوب البحر ، وكانوا لا يعرفون غير الإبل سفن الصحراء .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، السفير اللّامع ، الإداريّ الحازم ، القائد الفاتح ، المحدّث الفقيه ، العلاء بن الحَضْرَمِيّ .



(١٣٧) بعث عرفجة بن هرثمة البارقي لفتح بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان، انظر التفاصيل كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٥ - ٣٦٣) .

الفهرس

الجزء الرابع المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ذو الحجة ١٤٠٢ هـ
تشرين الأول ١٩٨٢ م

العــلاء بن الحضرمي

فاتح البَحَرْين[1] وجزيرة دَارِين[2]

الحاج محمود شيت خطاب

أهلــه :

هو العلاء بن الحضرمي ، واسم الحضرمي والد العلاء هو عبدالله بن عماد ابن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عويف الحضرمي[3] ، لا يختلفون أن أباه من حضرموت[4] فنسب اليها : (الحضرمي) . سكن أبوه مكة المكرمة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان بن حرب[5] .

وكان للعلاء عدة أخوة : منهم ميمون الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة (بالأبْطَح)[6] يقال لها : بئر ميمون[7] مشهورة على طريق أهل العراق

---

(١) البحرين : هكذا يتلفظ بها في حالة الرفع والنصب والجر ، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان ، قيل هي قصبة هَجَر ، وقيل هجَر قصبة البحرين . وسمي البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر ، بينها وبين الخليج العربي عشرة فراسخ ، وسعتها : ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يغيض ماؤها وماؤها راكد زعاق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٧٢) .

(٢) الدارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند ، والنسبة اليها : داري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٥) .

(٣) الاصابة (٤/٢٥٩) وفي نسبة بعض الاختلافات . انظر أسـد الغابـة (٤/٧) وطبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) والاستيعاب (٣/١٠٨٥) .

(٤) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) .

(٥) أسد الغابة (٤/٧) .

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح . والابطح يضاف الى مكة والى (منى) لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان الى (منى) أقرب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٨٥) .

(٧) بئر ميمون : بئر بالأبطح قرب مكة حفرها بأعلى مكة في الجاهلية ميمـون الحضرمي ، وعندها قبر أبي جعفر المنصور . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨) .

الى الحج ، وكان حفرها في الجاهلية[٨] . ومنهم عمرو بن الحضرمي ، وهو أول قتل من المشركين وماله أول مال خمّس في الاسلام[٩] ، وقد قتله المسلمون في غزوة (نَخْلَة) . ومنهم عامر بن الحضرمي الذى قتل يوم (بدر) كافرا[١٠]. وأختهم : الصعبة بنت الحضرمي كانت تحت أبي سفيان بن حرب فطلقها ، فخلف عليها عبيدالله بن عثمان التيمي فولدت له طلحة بن عبيدالله[١١] أحد العشرة المبشرة بالجنة .

لقد كان العلاء من عائلة عربية عريقة ، سكنت مكة المكرمة وحالفت بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[١٢] .

أســلامه :

أسلم العلاء قبل فتح مكة[١٣] ، فشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ويوم (حُنين) . وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم منصرفة من (الجِعْرانة)[١٤] الى المنذر بن ساوَى العبدي بالبحرين ومعه كتاب يدعوه الى الاسلام[١٥] . وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الى المنذر بن ساوَى العبدى قبل فتح مكة ، فأسلم المنذر وحسن اسلامه[١٦] ، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار

(٨) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) والمعارف ص (٢٨٣) .
(٩) الاصابة (٤/٢٥٩) .
(١٠) أسد الغابة (٤/٧) .
(١١) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) .
(١٢) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) .
(١٣) طبقات ابن سعد (٤/٣٥٩) .
(١٤) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٠٩) ، وأنظر ما جاء حول ارسال العلاء الى المنذر في طبقات ابن سعد (٤/٣٦٠) .
(١٥) سيرة ابن هشام (٤/٢٧١) ، والبدء والتاريخ (٥/١٠٢) .
(١٦) سيرة ابن هشام (٤/٢٤٥) ٥

والأموال ، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم فيردها على فقرائهم ، وبعث معه نفراً من المسلمين منهم أبو هريرة وأوصاه به خيراً[17] . وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على (البحرين) ؛ فحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة الف وثمانين ألف درهم من مال (البحرين)[18] .

لقد كان العلاء موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وقد نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـــاده :

١ ـ في حرب الردة :

عقد الصديق أبو بكر لواء للعلاء وأمره بالبحرين[19] ، فقد مرض النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى ملك البحرين في شهر واحد ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم ومات بعده بقليل المنذر بن ساوى ، فارتد أهل البحرين[20] كما ارتد غيرهم في سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فعاد العلاء الى أبي بكر وقد سبقته أنباء ردة أهل البحرين .

وأرسل أبو بكر قادته لمحاربة المرتدين ، فعقد لواء البحرين للعلاء ، فسار اليها على طريق (الدهناء) وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى ، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها ، حتى أصبحت حياتهم في خطر عظيم[21] .

ولكن العلاء وصحبه تحملوا تلك المشقات بايمـــان وصبر عجيبين حتى أدركوا الجارود بن المعلى العبدي[22] وقومه بني عبد القيس الذين ثبتوا على

---

(١٧) طبقات ابن سعد (٤/٣٦٠) .

(١٨) اسد الغابة (٤/٧) . وانظر البدء والتاريخ (٥/١٠٢) حول المبلغ الذي حمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين .

(١٩) الطبري (٢/٤٨٠) .

(٢٠) الطبري (٢/٥١٩) .

(٢١) ابن الأثير (٢/١٤١) .

(٢٢) الجارود بن المعلى العبدي : سيد بني عبد القيس . قدم سنة عشر في وفد بني عبد القيس الاخير فسر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه . وكان حســن الاسلام صليباً على دينه . وقد قتل بأرض فارس سنة احدى وعشرين ، انظر التفاصيل في الاصابة (١/٢٢٦) .

الاسلام فحصرهم لذلك المرتدون وضيقوا عليهم الحصار .

واستنقذ العلاء المسلمين من بني عبد القيس ، فاجتمع المسلمون الى العلاء وخندق على قواته كما خندق المرتدون على أنفسهم أيضا ، فكانوا يباشـــرون القتال في فتـــرات استمرت شهرا ... وبينمـــا كان الطـــرفين على ذلك سمع المسلمون ضوضاء في معسكر المرتدين ، فأرسل العلاء رجلا يستطلع له خبرهم ، فعاد الرجل ليخبر العلاء : أن المرتدين سكارى ، فانتهز العلاء فرصة ذهبية سانحة وهاجم عدوّه ، فجعل المسلمون يقتلون ويأسرون المرتدين وفر بعضهـــم الى (دارين) فهاجمها العلاء أيضا وفتحها بعد قتال شديد[٢٣] .

لقد كان للعلاء أثر كبير في قتال المرتدين من أهل البحرين[٢٤] .

٢ ـ بعد الردة :

فاز العلاء في قتال أهل الردة بالفضل ، فلما ظفر سعد بن أبي وقاص بأهل القادسية وأزاح الأكاسرة ، جاء بأعظم مما فعله العلاء ، فأراد العـلاء أن يحرز نصرا جديدا على الفرس لا يقلّ عن نصر سعد بن أبي وقاص عليهم دون أن يفكر في مغبة المعصية وأهمية الطاعة ، اذ كان عمر بن الخطاب ينهاه عن الغزو في البحر .

ولكن العلاء ندب الناس الى فارس فأجابوه ، ففرقهم أجناداً وحملهم في البحر بدون اذن عمر بن الخطاب .

وعبرت الجنود من البحرين الى فارس وتوجهوا الى (إصْطَخر)[٢٥] ، فقطع الفرس عليهم طريق رجعتهم الى السفن واشتبكوا معهم في قتال شديد .

---

(٢٣) ابن الاثير (١٤٢/٢) ، وقد ذكر البلاذري ص (٩٦) : أن رجلا دلّ العلاء على المخاضة الى دارين . والظاهر أن المسلمين خاضوا اليها وقت الجزر ففتحوها. وهناك رواية أن دارين فتحت أيام عمر بن الخطاب .

(٢٤) أسد الغابة(٧/٤) .

(٢٥) اصطخر : بلدة بفارس ، سعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/١) .

ولما أراد العلاء الرجوع لم يجد الى الرجوع في البحر سبيلا ، لذلك عسكر العلاء بجيشه وأخذ يدافع دفاعا مستميتا !

وبلغ عمر بن الخطاب صنيع العلاء ، فارسل الى عتبة بن غزوان أمير البصرة يأمره بانقاذ جيش كثيف لانقاذ جيش العلاء بفارس قبل أن يهلك ، فأرسل عتبة جيشاً كثيفاً من اثني عشر الفاً عليهم أبو سبرة بن أبي رهم ، فاستطاع انقاذ جيش العلاء من الفناء بعد قتال مرير[٢٦] .

لقد فتح العلاء بالرغم من فشله في هذه الغزوة أسيافاً[٢٧] من فارس[٢٨].

الانســـان :

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم العلاء على البحرين ، وأقره أبو بكر خلافته كلها ، ثم أقره عمر بن الخطاب حتى توفي والياً على البحرين[٢٩] . وفي رواية أخرى ، أن عمر كتب الى العلاء يعزله ويتوعده لمخالفته في العبور الى فارس ، ويأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه : بتأمير سعد بن أبي وقاص عليه وقال : « الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك » ، فخرج بمن معه الى سعد[٣٠]. وفي رواية : أن عمر ولاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل اليها[٣١] . وأرجح الرواية الاخيرة ، لان عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد فشله في غزوه لأرض فارس ، فلابد من عقابه على مخالفته الصريحة في ركوب البحر ، ولكن هذا العقاب لم يكن ليصل الى حد كسر عزة العلاء وتحميله من الأمر ما لا يطيق ، وذلك بجعله تحت امرة سعد بن أبي وقاص الذي كان العلاء ينافسه في خدمة الاسلام عن طريق الفتح ، فمن المعقول اذاً نقله من البحرين الى ولاية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة ، فيكون ذلك عقاباً لا

---

(٢٦) الطبري (٣/١٧٦ـ١٧٩) وابن الاثير ٢/٢٠٨) .
(٢٧) اسيافاً : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .
(٢٨) المعارف ص (٢٨٤) .
(٢٩) اسد الغابة (٤/٧) .
(٣٠) الطبري (٣/١٧٨) .
(٣١) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) .

يرقى الى درجة الاذلال والانتقام اللذين كانا بعيدين عن خلق السلف الصالح من أمثال عمر بن الخطاب •

وكانت وفاة العلاء سنة احدى وعشرين للهجرة[٣٢] (٦٤١م) في طريقه الى البصرة بماء من مياه بني تميم[٣٣] يدعى (تِيَاس)[٣٤] •

لقد كان العلاء تقياً ورعاً ، ويقال انه كان مستجاب الدعوة[٣٥] ، وكان شهماً غيوراً صادقـا وفيا ، روى أربعـة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣٦] ، وكان أحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم[٣٧] •

القـــائد :

لم يكن العلاء مصيباً في قراره الخاص بعبور البحـر الى فارس ، لان اطاعة الأوامر أساس من أقوى أسس الجندية في كل زمان ومكان •

ولست أشك بتاتاً ، في أن العلاء أجتهد فأخطأ ، وأن نيته سليمة تتجه بكل طاقاتها لخدمة الاسلام والمسلمين ــ ومن طاقاتها سلوك طريق التنافس الشريف في الفتح ؛ الا أن ذلك كله لا يبرر مطلقاً مخالفته للأوامر الصريحة الصادرة اليه من عمر بن الخطاب بعدم ركوب البحر •

---

(٣٢) جاء في الاصابة (٤/٢٥٩) وأسد الغابة (٤/٧) والاستيعاب (٤/١٠٨٦) ، بأنه توفى سنة أربع عشرة ، وقيل سنة احدى وعشرين • وانني أقطع بأن وفاته كانت سنة احدى وعشرين للهجرة ، لان عبوره الى فارس جرى سنة سبع عشرة للهجرة • راجع الطبري (٣/١٣٦) •

(٣٣) الاستيعاب (٣/١٠٨٦) •

(٣٤) تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة • وقيل : جبـل بين البصـرة واليمامة • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٣٨) • وانظر المعارف حـــول موت العلاء بهذا المكان ص (٢٨٤) •

(٣٥) الاستيعاب (٢/١٠٨٧) والمعارف ص (٢٨٤) •

(٣٦) أسماء الرواة ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٩٠) •

(٣٧) ابن الاثير (٢/١١٩) والسيرة الحلبية (٣/٣٦٤) •

ولكن هذه المخالفة بالذات ، تدل على حب العلاء للمسؤولية واقدامه على تحملها كاملة حتى تجاه قائد قوى غاية القوة مثل عمر بن الخطاب •

لقد كان العلاء ينافس سعداً في ميدان الفتح ، فاين ينافسه اذا لم يعبر البحر الى فارس ؟ ان العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره ، والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالاسلام ؛ فليس للعلاء مجال يظهر فيه جهاده وجهوده غير بلاد فارس ؛ ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الأعلى عمر ابن الخطاب الذى كان أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس ، والذى كان يحرص على اعداد كافة متطلباتها المادية والمعنوية قبل الاقدام على خوضها ، وبذلك يضمن لجيوشه النصر المبين •

لقد كان العلاء مقداماً شجاعاً ذا ارادة نافذة وشخصية قوية ، يثق بقطعاته ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، له ماض مشرف مجيد •

وكان في معاركه يطبق مبدأ (المباغتة) أهم مبادىء الحرب على الاطلاق : مباغتة بالمكان كما فعل بعبور صحراء الدهناء ليصل البحرين باسرع وقت ممكن من اتجاه لا يتوقعه المرتدون - بالرغم من أخطار عبور الصحراء ؛ ومباغته في الزمان ، كما فعل في مهاجمة المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقعونه •

العلاء في التاريخ :

يذكر التاريخ للعلاء سفارته بين النبي صلى الله عليه وسلم وملك البحرين المنذر بن ساوى ونجاحه في سفارته ، مما أدى الى اسلام ملك البحرين وأهل البحرين •

ويذكر له انتصاراته الحاسمة على أهل الردة في البحرين على الرغم من رصانة قوتهم لاعتمادها على معاونة الفرس الذين ساعدوا المرتدين مادياً ومعنوياً

وشجعوهم على الردة ، وبذلك حرم الفرس من موطىء قدم مهم لهم في الخليج العربي يعتبر الخط الدفاعي الامامي عن العراق وبلاد فارس .

ويذكر له أنه كان أول قائد مسلم بعث قائدا مسلماً في البحر للفتح(٣٨) ، فعرف العرب السفن وركوب البحر وكانوا لا يعرفون غير الابل سفن الصحراء .

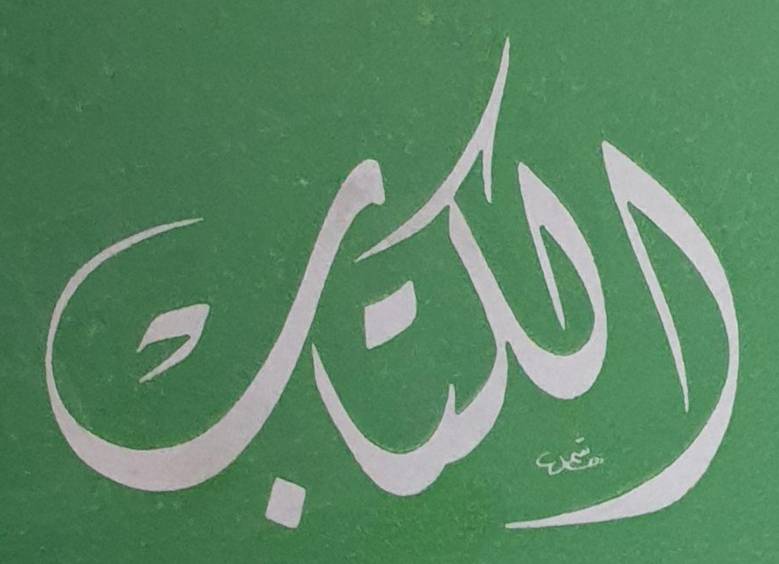
رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، العلاء بن الحضرمي بن الحضرمي .

---

(٣٨) أرسل العلاء عرفجة بن هرثمة البارقي بحراً لفتح بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان . انظر التفاصيل في ترجمة عرفجة بن هرثمة البارقي في الجزء الاول من قادة الفتح الاسلامي عن : قادة فتح العراق والجزيرة .

فهرس الـكتاب

العـدد الممتاز



تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

العدد الثالث والرابع

السنة الثانية

الكتاب

مجلة شهرية ثقافية

تصدرها

جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

بغداد

العددان الثالث والرابع السنة الثانية حزيران وتموز ١٩٦٤